

مشروع تقسيم فلسطين وأخطاره

لباحث عربي كبير

تتمة ما نشر في العدد الماضي



الإماكن المقدسة

لم تكنف اللجنة الملكية بحرمان العرب من قسم فلسطين الطيب ، مورد حياتهم ، بل سلخت القدس وبيت لحم ومنطقة واسعة توصلهما بالبحر عن البلاد العربية ، ووضعت مع غيره تحت انتداب بريطاني دائم ، بحجة أن المحافظة على هاتين المدينتين « أمانة مقدسة في عنيق المدينة » ، كأن العرب لا يعرفون المدينة وكأنهم لا يدركون مقدار ما لهذه المكانين من قداسة

إن العرب هم أكثر الشعوب تقديساً للقدس وبيت لحم ، والانكليز يعرفون ذلك ، غير أنهم اتخذوا مبدأ « المحافظة على قداسة القدس وبيت لحم » وسيلة لسلخهما عن البلاد العربية ، وتسهيلاً لتحقيق المآرب اليهودية في هذا الجزء من البلاد المقدسة مهدت اللجنة الملكية في تقريرها السيطرة اليهودية على هذا القسم من فلسطين ، فهي توحى بأن تكون لغته الرسمية الانكليزية لتزول مع الزمن منه الثقافة العربية والروح القومية . ومهدت السبيل لأن تكون أكثرية موظفي الحكومة في هذه المنطقة من اليهود . إذ هي تقول (صفحة ١٣٨) بأنه لو لم يكن هناك الانتداب الحالى على فلسطين ، لاعتبرت الحكومة اليهود والعرب جماعة واحدة ، ولا تنتخب من بينهم الموظفين حسب كفايتهم لا حسب جنسيتهم ، كما هي الحال الآن ، ولكان أكثرية هؤلاء الموظفين من اليهود لأنهم أكثر كفاية وأكثر مقدرة . وتقول اللجنة بعد ذلك بأن الانتداب الجديد (صفحة ٣٨٢) لن يجعل ثمة مجال للبحث في حفظ التوازن بين ادعاءات العرب وإزاء اليهود أو بالعكس ، لأن الحكومة ستنظر إلى جميع السكان نظرة واحدة . ومعنى هذا أنها سوف لا تراعي النسبة بين الموظفين ، بل ستأخذ الأقدار والأفئدة لها . والموظفون اليهود أقدر بكثير من الموظفين العرب في نظر لجنة اللورد بيل

ومتى أصبحت اللغة الرسمية الانكليزية ، ومتى أصبح الموظفون

من الانكليز واليهود ، صعب جداً على العرب العيش في هذه المنطقة من بلادهم واضطروا إلى الزواج عنها ، فتصبح الأكثرية الساحقة فيها من اليهود . وحتى لو فرضنا أن عرب هذه المنطقة سيظلون فيها ، فإن اليهود سيئسلون إليها وسيصبحون فيها أكثرية . وعندها يطلبون إجراء استفتاء سائلين سكان هذه المنطقة فيما كانوا يريدون الانضمام إلى « المملكة اليهودية » أو إلى « المملكة العربية » . وتكون النتيجة الانضمام إلى « المملكة اليهودية » ، ووضع اليهود أيديهم على الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية ، وإقامة هيكل سليمان مكان الصخرة الشريفة وستجد الحكومة البريطانية عذراً لذلك تبرر به عملها قائلة بأنها تحب العدل ولا ترغب في حكم جماعة رغم مشيئتهم ! . . . ثم إن القدس مدينة كبيرة ، يعيش أهلها على الوظائف والموظفين المديدين الذين فيها ، وعلى التجارة مع القرى . فمشروع التقسيم يحرم أهل القدس من الوظائف ويقلل عدد موظفي المدينة ، ويقطع القرى التي تتعامل مع القدس عنها . وسيحل حينئذ أزمة اقتصادية شديدة بقاسى سكان المدينة العرب آلامها

تقول اللجنة الملكية إنه « يجب أن يلقى على عاتق الدولة المنتدبة أيضاً عبء المحافظة على الأوقاف الدينية وعلى الأبنية والمقامات والأماكن الواقعة في أراضي كل من الدولتين العربية واليهودية والقدسة لدى العرب واليهود » . وهي في هذا القول تريد إيهام الرأي العام بأن في المملكة العربية مقدسات يهودية ! والحقيقة أن ليس لهم في القسم النوبي إبقاؤه عربياً شئاً من هذا القبيل . أما العرب فلهم في مشروع « المملكة اليهودية » جوامع وكنائس وأوقاف دينية وأبنية ومقامات وأماكن مقدسة عديدة ، تتمهد الحكومة البريطانية بالمحافظة عليها ! لقد رأينا قيمة تمهيدات الحكومة البريطانية ومدى ما يمكن الاعتماد عليها

ثم ما الفائدة للعرب من بقاء جوامع وكنائس ومقامات مقدسة في قسم من بلادهم يرغبون على الرحيل عنه ؟ إن العرب يقدسون الجوامع والكنائس مادام فيها مصلون ، أما إن قدر للشعب العربي أن يرحل عن وطنه (وهذا لن يكون) فخير له أن تنسف الجوامع والكنائس ، وأن تحجى آثاره المقدسة ، من أن تبقى أثراً يذكر الأجيال بأنه كان في هذه البلاد شعب عربي لم يعرف كيف يحتفظ بها

دولة يهودية

إن مشروع تقسيم فلسطين فائدة واحدة ، ذكرها اللورد بيل في تقريره ، وهي تحقيق أحلام اليهود من تأسيس مملكة لهم في الأرض المقدسة .

لقد منح تصريح بلفور اليهود وطناً قومياً في فلسطين ، يعطيهم الحق في القدوم إلى الأراضي المقدسة وسكنها دون أن يغير ذلك كيان العرب وحقوقهم . غير أن هذا التصريح لم يحقق آمال اليهود ؛ على أنهم قبلوه ليكون وسيلة لتحقيق تلك الآمال . وجاء اللورد بيل وأوصى بالغاء الانتداب القائم على تصريح بلفور ، وإعطاء اليهود مملكة في أطيب قسم من فلسطين ، مستقلة تمام الاستقلال ، ولها ما لا أكبر الدول من سيادة ومكانة . ومثل هذه الدولة لا تحقق آمال اليهود كلها ، بل هي إلى إحياء الصهيونية ، بعد أن كادت تفشل ، ووسيلة لا يصلح اليهود إلى غايتهم الرئيسية ، وهي : إنشاء دولة يهودية ممتدة من النيل حتى الفرات ، واستثمار الشرق الأدنى ، لاسيما الشرق العربي ، استثماراً اقتصادياً .

إن تأسيس مملكة يهودية في فلسطين أو في قسم منها ، مهما كانت رفعة ، خطر عظيم على الشرق العربي أجمع . لأن منح اليهود مملكة معناه تقوية نفوذهم في جميع أنحاء العالم ، وسيطرتهم على الدوائر السياسية الدولية ، سيطرة تجعل لدولتهم ، مهما كانت صغيرة ، أهمية دولية لا تقل عن أهمية كبار دول العالم . ويتلو ذلك ترفل الدول لهذه الدولة القوية ، فتأخذ في عقد تحالفات معها ، تضمن للدولة اليهودية حرية العمل في الشرق الأدنى لاسيما في بلاد العرب منه .

وفي أثناء ذلك تكون « الحكومة اليهودية » آخذة في حشد اليهود في « القسم اليهودي » من فلسطين . وقد صرح رجالهم من الآن ، بأنه سيلعب عدد اليهود في هذا القسم عما قريب خمسة ملايين ، جلهم من الشبان والشابات الصالحين للعمل . لهذا ستكون قوة التجنيد عندهم معادلة ، إن لم تكن أقوى ، لقوة تجنيد بلاد عادية يبلغ سكانها خمسة عشر مليوناً . وستدرب الحكومة اليهودية هذا العدد الكبير من الرجال والشبان والنساء على الأعمال الحربية . وسيكون لديها جيش قوى مجهز بأحدث عدد الحرب . وزيادة على الجيش المحلي فإن للدولة اليهودية جيوشاً احتياطية منتشرة في جميع أنحاء العالم . لأن كل يهودي خارج فلسطين سيعتبر نفسه جندياً في جيش « الدولة اليهودية » وسيلبي النداء مهما كان بعده عن

الأراضي المقدسة . وليس في العالم قوة تحول بين ملايين اليهود وبين الانضمام إلى جيشهم في فلسطين . . . وإن حوادث اسبانيا الحالية خير برهان على ذلك .

وقسم المملكة اليهودية من فلسطين لا يتسع بصورة طبيعية لأكثر من مليون . فتي وجد فيه ثلاثة ملايين إن لم تقل خمسة أو أكثر ، اضطروا بحكم الطبيعة إلى التوسع ، ولا توسع لهم إلا في البلاد العربية . أما استيلاؤهم على بقية فلسطين وشرق الأردن فسهل متى كان لهم مملكة ، لعوامل اقتصادية عرضناها فيما تقدم . ومتى استولوا على « المملكة العربية » الثوري خلقها زاد عددهم في فلسطين ، حينئذ يوجهون وجههم شطر سوريا ولبنان . وعند ذلك ، مهما كانت شجاعة العرب ، ومهما كان صبرهم على القتال ، لا يكون في مقدور جيش القطر السوري الشقيق ، حتى وإن عاضده بقية البلاد العربية ، الوقوف أمام جيش « المملكة اليهودية » العديد والمجهز أحسن تجهيز حربي حديث . . . ومتى زال استقلال سوريا ، هدد العراق ، ومصيره أن يجزأ بين الطامعين فيه ، يدخل قسم منه في المملكة اليهودية . أما مصر فستجابه خصماً عنيداً يكون عوناً لأعدائها عليها . . .

ولنفرض أن لا خوف على استقلال سوريا والعراق ومصر السياسي من « الدولة اليهودية » ، فإن هذه البلاد سوف لا تنجو ولن تنجو من استثمار اليهود الاقتصادي لها . فوجود دولة يهودية في فلسطين أو في قسم منها معناه زوال كل ما لمصر من أمل في زعامة البلاد العربية ثقافياً واقتصادياً ، إذ ستكون الدولة اليهودية حائلاً بينها وبين هذه البلاد ، وسوف لا تنجو هي من استثمار اليهود الاقتصادي . ومعناه أيضاً زوال كل ما للعراق من أمل في تقوية الرابطة بين البلاد العربية ، وتوحيدها ، ومن وصوله إلى البحر الأبيض المتوسط . أما سوريا ، بما فيها لبنان ، فإن لم يزل استقلالها زوالاً نهائياً ، فستكون تحت نفوذ الدولة اليهودية سياسياً واقتصادياً . . .

إن وجود « مملكة يهودية » في فلسطين أو في قسم منها ، ضربة قاضية لآمال العرب (بما فيهم مصر) ، وسبب لفقدان السلام والهدوء من الشرق العربي . لهذا يجب على كل عربي أن لا يرضى أبداً بتقسيم فلسطين ، ولا يمكن الحكومة منه . ويجب على جميع البلاد العربية أن تتساند وتحول دون تأسيس مملكة يهودية في قسم من فلسطين ، فتحول بذلك دون وقوع الأخطار العديدة التي ذكرنا بعضها .